Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10412

الروابط الحجاجية في شعر أبي نواس

حسين عمران محمد، زينب أمين عزيز

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة كرميان ، اقليم كردستان العراق

Article Info

Received: August, 2023

Revised: August, 2023

Accepted: September, 2023

Keywords

الروابط الحجاجية, أبي نواس, التداولية

Corresponding Author

Hussein.imran@garmian.edu.Jed

zainab.ameen@garmian.edu.krd

الملخص:

اجتهدتُ في هذه الدراسة بتقديم أهم الروابط الحجاجية التي استعان بها الشاعر أبي نواس في قصائده, وبيان مدى أهمية الروابط لتقوية كلام الشاعر ليصل غايته في التأثير والقوة لإقناع المتلقين لحججه, وبما أنّ الحجاج ضرب من الإقناع ويعطي أهميته البالغة لدراسة أسلوبه الخطابي الذي يتبعه المحَاجّ لغرض تأثيره في المقابل الذي هو (المحَاجَج) وإقناعه بالأطروحة التي يقدمها, فوظف أبو نواس تبعاً لتحقيق هدفه المنشود آليات حجاجية متنوعة منها: العوامل والروابط الحجاجية, بيد أن موضوع دراستنا (الروابط الحجاجية) التي بدورها تربط بين البنية الداخلية لأشعاره, وكذلك تقوم بالربط بين عدة حجج, أو بين الحجج ونتائجه ابتغاء توجيه حجج الشاعر نحو نتيجة مؤيدة لدى متلقي حجته, وبما أن اللغة لها أهمية بالغة بتوظيفها لروابط حجاجية لتؤدي اللغة تبعاً لذلك وظيفتها في اقناع على المتلقي بوساطة الربط بين الأقوال ونسقها في نظام قوي التأثير عند الآخرين.

وفي هذه الدراسة نسلط الضوء على أهم تلك الروابط وبيان دورها في توجيه الخطاب نحو النتيجة المبتغاة, وتنقسم هذه الدراسة على خمسة محاور:

الرابط الأول: الواو: يعد حرف حجاجي يقوم بالربط والوصل بين جملتين, ويعمل على ترتيب الحجج ونسجها ضمن خطاب متكامل ومتناسق, ويجعل الجملة مترابطة بنحوٍ يبعدها عن الانفصال وعدم الانسجام. والرابط الثاني (الفاء): وهو حرف يفيد الترتيب والتعقيب, والذي يعمل بدوره على الانسجام الحجاجي في ترتيبه للنتائج. والرابط الثالث: لكن: وهو حرف يفيد الاستدراك بعد الجحود, ويكون موقعه وسيط بين كلامين مختلفين نفياً أو إيجاباً. الرابط الرابع: حتى: وله وظائف عدة منها العطف, حيث يعطف بين المفرد وبين جملتين في الكلام, وبين الاسمين في اللفظ والمعنى. الرابط الخامس: لأنَّ: ويعدُّ من ألفاظ التعليل, فـ (اللام) لام التعليل, يستعملها المرسل في خطابه الحجاجي بكثرة, ووظيفتها تبرير الفعل, أو تبرير بعدمه. وبعد توضيحنا بموجز لأقسام الروابط نعمل بعد ذلك تطبيقها على نماذج من أشعار أبي نواس وتناولها وفق جانبها التداولي.

المقدمة:

تعد الروابط الحجاجية من العناصر اللغوية التي تربط بين جملتين أو بين حجتين أو أكثر, وتكمن غاية كل قول أو حجة بما تبرزه من مهام داخل الاستراتيجية الحجاجية, ومن هذه الروابط: بل, لكن, حتى, لاسيما, إذن, لأن, بما أن, إذ ...., فالوظيفة الأساسية التي تقوم من أجلها الروابط بين حجتين أو أكثر هو التعبير عن العلاقات التي تقوم بين الأحداث, فاستعانة المتكلم بالروابط ليس اعتباطياً بل لتقوم تلك الروابط بدورها الأساس لفهم خطابه وكذلك وتقوية الصلة بين أقواله عن طريق ربطها ببعض وإبعادها عن الانفصال والانفكاك, وموضوع دراستنا الروابط الحجاجية المستخدمة في أشعار (أبي نواس) وتقسم إلى خمسة روابط:

1- الواو, 2_ الفاء, 3- لكن, 4- حتى, 5- لأنَّ.

الرّوابط الحجاجية: كما معلوم عند علماء النحو فالكلام مقسم لديهم: لاسم وحرف وفعل, وهذا ما ورد في البيت بقولهم: (مجد محيي الدين عبد الحميد, 1980: 13)

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم واسمٌ وفعلٌ ثم حرف الكلم

وللحرف تعريفات عدة وهناك من عرفها قائلاً " الحرف كلمة تدل على معنى, في غيرها, فقط. فقوله "كلمة" جنس يشمل الاسم والفعل والحرف"(الحسن بن قاسم المرتدي, 1992: 20) , وأما سيبويه فقد بين حد الحرف بقوله: " وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو| ثم وسوف وواو القسم ولام الاضافة" (سيبويه,1316: 2) , وابن عقيل مفهومه للحرف يختلف عن سيبويه بقوله: " وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي حرف"(محمد محيي الدين عبد الحميد, 1980: 15) , فالحرف في الجملة له وظيفة الربط بين عبارتين كما بين مفهومه تمام حسان أن الربط يعدّ قرينة لفظية تقوم على اتصال أحد المترابطين بالآخر (تمام حسان, 1977: 82) , فالروابط هي مكونات لغوية وتداولية التي تقوم بالربط بين قولين أو أكثر تكون في استراتيجية حجاجية واحدة؛ بحيث تقوم بالربط بين المتغيرات التي تحدث بالحجاج قد تكون بين حجة أو نتيجة أو تكون بين عدة حجج (عبد اللطيف عادل, 2013: 100) , فاللغة تقوم بوظيفة حجاجية ضمن خطابها عن طريق توظيف الأقوال اللغوية والعناصر والمكونات التي تعتمد عليها, حتى اللغات الطبيعية تقوم على عناصر لغوية متعلقة بالحجاج, ولهذا تعتمد اللغة العربية في جميع خطابها على عدد وفير من الروابط والعوامل الحجاجية لتؤدي اللغة وظيفتها في إقناع المتلقي عن طريق الربط بين الأقوال ونسقها في نظام قوي التأثير عند الآخرين (حمو النقاري, 2006: 63) , ويوضح كل من (موشلير) و (روبول) الرابط الحجاجي في قاموسهما التداولي بأنه عبارة عن علاقة لسانية تقوم بالربط بين غرضيين لغويين في المقولة ذاتها. فالرابط هنا يبين دوره بأنه هو المقوّم الأساسي للخطاب لأنه يحدد الغاية من القول, ويحد أيضاً من التأويلات المتعددة (رضوان الرقبي,102:2011) , وأما بالنسبة لديكرو فالرابط تقوم في \ خدمة التوجيه الحجاجي للمقولات, وبذلك يؤكد أن " الاستعمال الإقناعي للغة, ليس شيئا مضافا إلى اللغة, بل إنه موجود في نظامها الداخلي"؛ فالروابط, إذن, هي أحد المؤشرات الحجاجية التي تسند معنى من المعاني إلى المقولات التي يتلفظ بها المتكلم. وبها يوجه دفة الحجاج بداية ونهاية, افتتاحا واختتاما, لأن العلاقات بين القضايا والأحداث, إنما يعبر عنها على نحو خاص بواسطة مجموعة من العبارات من مختلف أنواع التراكيب (رضوان الرقبي,102:2011) , فالروابط تأتي على أشكال متنوعة كما يرى (شكري المبخوت) فإذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية فسوف تظهر في أشكال ومكونات مختلفة, فالبعض منها قد يتعلق بالجملة بأكملها, ونجد بعضها الآخر من المكونات لها ميزات معجمية تؤثر في التركيب النحوي, ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف والأسوار (بعض, وكل), فالروابط تتعامل مع صور مختلفة من الأقوال, ويقف الرابط لجانب الأقوى حجاجية في التأثير والإقناع على المتلقي (حمادي صمود, د.ت: 377), والمتكلم عليه أن يكون ذا دراية تامة على ردود أفعال المخاطب لروابط التواصل الذي يبنيه في حججه, فالممارسة الخطابية تقوم على خطابين؛ تكون أحدهما ضد الثاني, وبما أنّ الخطاب الحجاجي يعتمد على القياس ليستطيع أن يقف بوجه خطاب حقيقي أو تقديري فهذا يساعد في تحقيق عملية التواصل التي تفرضها البنية اللغوية أو عن طريق نظامها النصي, وهذا كله يتم عن طريق توظيف الروابط الحجاجية التي تقوم بايصال المقدمة بالنتائج المطلوبة, والتي لها دور بارز في توجيه دلالة المحاججة (آمنة بلّعلي, 2009: 123), فالرابط يقوم على العلاقات التي توجد بين المساحات أو بين الأشياء الموجودة في هذه المساحات ... (تمام حسان, 346:1998) , والروابط أو الأدوات عديدة منها: بل, لكن, حتى, لاسيما, إذن, لأن, بما أن, إذ ... إلخ (أبو بكر العزاوي, 2006: 27), فالدور الأساس الذي من أجله تقوم الروابط بين حجتين أو أكثر هو التعبير عن العلاقات التي تقوم بين الأحداث, وقد تكون العلاقة التي تقوم بين الروابط مفككة كعلاقة الحال في الوصل والفصل. أو تكون العلاقة مربوطة برابط قوي غير قابل للانفكاك (عبد القادر قنيني, 2000: 103) , فكل أداة من أدوات الربط لها وظيفة معينة تقوم من أجلها, وقد تحمل أكثر من ميزة قد تكون دلالية وتداولية أو تكون تركيبية وأسلوبية عند ربطها بين الحجج. (عبد القادر قنيني, 2000: 133), أنّ استعانة المخاطب بالروابط ليس اعتباطيا بل لتقوم هذه الروابط بأدائها الأساس ليُفهم خطابه, ولتقوبة الصلة بين أقواله عن طريق ربطها ببعض وإبعادها عن التشتت والانفكاك, فالروابط تقوم بتوجيه العمليات التأويلية؛ إذ يتم التأويل في انعدامها, فالارتباط الذي يقوم بين المحتوى الإجرائي لتلك الروابط وبين محتوى القضايا المترابطة والسياق المُدرك يساعد في تعلم اللغة على أتم وجه (سيف الدين دغفوس, 173 :2003). وينبغي التمييز بين (الروابط الحجاجية) و (العلاقات الحجاجية) " فالروابط الحجاجية هي جملة من الأدوات توفرها اللغة ويستغلها الباثّ ليربط بين مفاصل الكلام ويصل بين أجزائه, فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية" (سامية الدريدي, 2011: 318), والروابط على ثلاثة أنواع: تركيبي, ودلالي, وتداولي, وسنوضح تفصيلاتها:

- فالرابط النحوي (التركيبي): يتم فيه ربط موضوعات كالفاعل والمفعول إلى محمولاتها. وتسمى في النحو

العلائقي بالحدود. وأيضاً يشمل الجانب النحوي على الإعراب المعمول فيه, والتطابق بين المحمول والموضوع, وتضمن أيضاً الرتبة المحفوظة في البنية الشجرية في الجانب اللساني.

- الرابط الدلالي: وهذا الرابط يتم عن طريق ربط الموضوعات إلى الفعل بوساطة الحروف, بموجب ما تحمله من دلالة خاصة بها.
- الرابط التداولي: وهنا يتم تركيزه على العلاقة التي تربط الكل الدلالي التركيبي من جانب, ومتداول اللغة من جانب ثاني (رضوان الرقبي,102:2011).

إذ ينقل الرابط التداولي " الروابط الحجاجية الملفوظ من بنية الإخبار والإبلاغ إلى بنية الحجاج التي هي من أهم المرتكزات التي تستند إليها الدلالة التداولية" (مثنى كاظم صادق, 2015: 73) , ولهذا اصبحت الروابط الحجاجية التي قام بهما كل من انسكومبر وديكرو في نظريتهما القائلة بأن " أ- الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج. ب_ المكون الحجاجي في المعنى أساسي, والمكون الأخباري ثانوي. ج_ عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات, والدعوة إلى فرضية (التداوليات المندمجة) " (أبو بكر العزاوي, 1991: 79) , واصبحت الروابط الحجاجية تبعاً لذلك المؤشر الأساسي, والدليل القاطع على أن الحجاج يكون في بنية اللغة نفسها (أبو بكر العزاوي, 2006:55).

الروابط الحجاجية في شعر أبي نؤاس:

أولاً| الواو:

يعدّ حرف الواو كحرف حجاجي يربط بين الجملتين لأنه يعدّ من روابط الوصل, ولأن الوصل علاقة منطقية تقوم من قضية انطلاقاً من قضيتين بسيطتين وذلك عن طريق الرابط (الواو) (سيف الدين دغفوس, 2003: 276) , وقد عدّها علماء النحو بأنها " للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلاً في الحكم قبل الآخر ولا أن يجتمعا في وقت واحد بل الأمران جائزان وجائز عكسهما نحو قولك: جاءني اليوم وعمر أمس واختصم بكر وخالد ... والمحصّل من هذا التعريف الأوّلي أنّ الواو تنهض بوظيفة الجمع بين حكمين متطابقين ... فإنّ ابن يعيش اعتبر ميزة الواو في جمعها بين ملافيظ مشتركة في الحكم لذلك قال: والدليل على ذلك أنها لا توجب إلا الاشتراك في شيئين فقط في حكم واحد" (عز الدين ناجح, 2011: 153) , فالرابط الواو يعمل على ترتيب الحجج ونسجها على خطاب متناسق ... ووظيفة الواو تقوم بالربط النسقي أفقياً, ولا تقف عنده بل تقوم بالترتيب العمودي أيضاً (عبد الهادي ظافر, 2004: 472-473) , ويعدّ الحرف (الواو) من أدوات العطف التي تعطف بين جملتين وتصل ما قبلها بما بعدها, والرابط بحرف الواو تأتي في بعض الأحيان قرينة لأمن اللَّبس في فهم الانفصال في الجملة, نحو: جاءَ زيدٌ وعمروٌ. أو تأتي الرابط الواو في حين آخر قرينة لأمن اللّبس في فهم الارتباط, نحو: جاءَ أبو عبدِاللهِ ومحمدٌ, فلو قمنا بإزالة حرف العطف (واو) من الجملة لأحدثت علاقة الإبدال بين الطرفين, أي علاقة ارتباط, أي أن الربط بحرف الواو أما يأتي في كمال الارتباط أو كمال الانفصال, فهذا يعني عند الربط بالواو تأتي قرينة على انعدام الارتباط وانعدام الانفصال الناشئة بين المتعاطفين في الجملة, ففي انعدام الارتباط تأتي الواو بمعنى مغاير, وفي انعدام الانفصال سببها بين المتعاطفين في الجملة, ففي انعدام الارتباط تأتي الواو بمعنى مغاير, وفي انعدام الانفصال يكون سبب تلك العلاقات السياقية التي يُنْشِئُها كل حرف, حسب معناه الوظيفي وحسب قرائن في نظامه السياقي في الجملة. (مصطفى حميدة, 1997: 200-201).

وقد ورد حرف الواو _ للحجاج_ في قول أبي نواس: (علي فاعور, 1987: 20)

صَفراءُ تُسلبكَ الهمومَ إذا بدتْ, وتُعيرُ قَلْبَكَ حُلّةَ السّرّاءِ
كتبَ المِزاجُ, على مُقَدّم تاجِها, سطْرَين مثلَ كِتابَة العُسَرّاءِ
نَمّتْ على نُدْمانِها بنَسيمِها وَضيائِها في اللّيْلَةِ الظّلْماء
قد قُلتُ, حينَ تشوّقتْ في كأسِها, وَتَضايقَتْ كتَضايق العذراءِ
لا بُدّ من عضّ المراشف؛ فاسكْني وتَشَبُّكِ الأحْشاء بالأحشاءِ
ومُهفهَفٍ نَبَهْتُهُ, لَمّا هَدَا, وَتَغَلّقَتْ عَيْناهُ بالإعفاءِ
وشَكا إليّ لِسانُهُ مِنْ سُكْره بتَلَجْلُجٍ كَتَلَجْلُج الفأفاءِ

نلاحظ هنا كثرة الواوات الرابطة في قصيدته الحجاجية وتناغمها مع رغبات نفسه وعواطفها لتحقيق غايته؛ لأن الرابط (الواو) يعد من أنسب الحروف للربط بين نوازع نفسه وبين علاقته بالخمرة, وجعل النص كأنه نسيج واحد متكامل يربط بعضه ببعض بوساطة أداة الوصل (الواو), فقد جمع أبي نؤاس بين (تعير, ضيائها, تضايقت, تشبك, مهفهف, تغلقت, شكا), وترتيباتها في قصيدته, فعزّزت علاقة كل بيت بالبيت الآخر الذي يليه حتى وكأنها بناء متكامل يخلو من التنافر والتفكك بين أجزائه, فكأن القصيدة بأكملها جاءت متناسقة ومترابطة في المعنى, والشاعر هنا يصف الخمرة بصفات عديدة فهي التي تفرحه وتمحي الهموم التي تكابده, ويصف طيب شرابها في الليلة شديدة العتمة, ويصفها بأنها في الكأس كالفتاة العذراء, وكل هذه الميزات التي امتازت بها خمرته وظف لها أقوى روابط الوصل (الواو), وسمي (الرابط) عند نحاة العرب بـ (حروف المعاني), أي الحروف التي تربط كل معنى بمعنى آخر يليه.

وقال في موضع آخر: (بهجت عبد الغفور, 2010: 272)

قامَ الأمينُ بأمْرِ اللهِ في البَشَرِ واسْتَقْبَلَ الملْكَ
في مسْتقبلِ الثمرِ

فالطّيْرُ تُخبِرنَا, والطيرُ صادقةٌ, عن طيبِ عيشٍ وعن طولٍ من العُمُرِ
فيملِك الأرض أقصى ما تعدّ يدٌ, حتى يدبّ كليلَ الصّوْتِ والنظَرِ
قد زَيّنَ اللهُ دُنْيانَا, وحسّنَها بابْنِ الشّفِيعِ إلى الرّحمنِ في المطرِ
وازدادتِ الأرْضُ لَمّا ساسَها سَعَةٌ حتى تضاعفَ نور الشمسِ والقمرِ

وفي هذه الأبيات يمدح الخليفة الأمين في خلافته من خلال نصه المتكامل والمترابط, إذ أضاف إلى العطف البعد الحجاجي ب(الواو), والسبب في ذلك أنه لو كانت الأبيات بدون رابط الوصل (الواو) لكان النص غير متكامل وليس له معنى يُفهم, فقد قام بتعداد خصال الخليفة عن طريق الرابط الحجاجي الذي رتبه ترتيباً كاملاً وجمع الحجج المخصوصة بالخليفة:

ح1| واسْتَقْبَلَ الملْكَ في مسْتقبلِ الثمرِ
ح2| والطير صادقة عن طيب عيش وعن طول من العمر
ح3| حتى يدب كليل الصوت والنظر
ح4| قد زين الله دنيانا, وحسنها
ح5| وازدادت الأرض لما ساسها سعة

هذه الحجج رتبها الشاعر, عندما استخدم الرابط الحجاجي (الواو), لكي يربط كل بيت بالبيت الذي يليه, ويكون الربط والترتيب بالنظام الأفقي عكس الترتيب الذي يحدث في السلم الحجاجي, فجاءت جميع الحجج مترابطة متصلة برابط الوصل (الواو) غير منفصلة وعلى نظام واحد متكامل, والفضل يرجع لعمل الرابط الحجاجي الذي بيّن النتيجة التي جاءت في أبياته وهي ذكر الفضائل والخصال الحميدة للممدوح (الخليفة). وكذلك الوصل الحجاجي يصدق مع (واو الحال), فهو رابط حجاجي له الأثر في تقديم الحجج, وهو ما توضحه الترسيمة الآتية:

النتيجة_____ واو الحال _____ المعطيات (الحجج)

وهذا الذي جمع فيه أبي نؤاس بين قضيتين لتأسس معنى استبعادي مصبوغ بالتعجب والإنكار, فقال: (علي فاعور, 1987: 483)

أتأذَنُ لي , فدَيْتُكَ, بالسّلامِ عَلَيكَ, وفي القَليلِ من الكَلامِ
أتَغْدُو للحَديثِ إلى فَقيهٍ, وتَنْظُرُ في الْحَلالِ وفي الْحَرامِ
فهَلْ حَدّثْتَ عَنْ قَتْلي بشيءٍ إلى الفُقَهاءِ, يا بَدْرَ التّمامِ؟

هنا الرابط وقع بين الجملة الإنشائية (الاستفهامية) (أتغدو), وبين الجملة الخبرية (وتنظر في الحلال وفي الحرام), فقد ربط الشاعر رابط الوصل (الواو) بين الجملتين الاسمية والفعلية (واو الحالية), فضلاً عن الدور الأساس للرابط وأثره البارز في تقديم الحجج, فالحجة في البيت الشعري صارت أقوى, وما امتلكه من طابع الدليل والبرهان, ويبين أنه ينظر في حديثه كحديث الفقهاء الذين يميزون الحلال من الحرام, ووظف الشاعر رابط الوصل (واو الحالية) ليقوي بها حجته ويجعل الكلام الذي بعدها كلاماً مترابطاً منسجماً مع ما قبله, ويخلو من الفتور والتفكك, فالمخطط الآتي يوضح الحجة الآتية:

النتيجة_____ حدثت عن قتلي
الرابط_____ واو الحال
المعطاة (الحجة)_____ أتغدو

ثانياً| الفاء:

وهو حرف يفيد الترتيب والتعقيب, فالترتيب بالفاء يكون على نوعين: ترتيب بالمعنى عندما يأتي المعطوف لاحقاً بما قبله متصلاً ... والنوع الثاني الترتيب بالذكر وهنا لا يفيد (الفاء) الترتيب, بل يأتي لعطف يفيد الانفصال على مجمل الجملة, وهو ما أطلق النحاة عليه (الترتيب الذكري). وأما التعقيب فمعناه أن يأتي المعطوف بعد المعطوف عليه بغير أهمال أو بمدة قرينة (فاضل صالح السامرائي, 2000: 231-232), أضافة إلى الترتيب والتعقيب فهو يدل على التشريك أيضاً, أي يدل على الاتصال والمشاركة دون الانفصال والتفكك في الجملة.(محمد أسعد النادري, 1997: 857), وهو رابط يدل على الانسجام الحجاجي في ترتيب النتائج, قال سيبويه: " والفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو, غير أنها تجعل ذلك متناسقاً بعضه في أثر بعض وذلك في قولك: ممرت بعمرو, فزيدٌ, فخالدٌ, وسقط المطر بمكان كذا وكذا" (فاضل صالح السامرائي, 2000: 232).

وقد ورد حرف الفاء في أشعار أبي نؤاس بكثرة نذكر منها قوله: (علي فاعور, 1987: 23)

فديتُ مَنْ حَمّلتُهُ حاجَةً, فرَدّني منْهُ بفَضْلِ الْحَياءُ
وقالَ: ما شئتَ فسَلْ غَيرَنا, فَفي الذي تَطلُبُ جازَ الإبَاءُ
فقلتُ: ما لي حاجَةٌ غَيرَها؛ فقالَ: ها منكَ لقيتُ البَلاءُ
ثمّ ثَنَى ثَوْباً على وَجْهِهِ, فبَلّهُ مِنْ خَجَلٍ بالْبُكاءُ

فالشاعر هنا استعمل الرابط (الفاء) بكثرة لربط أبياته الشعرية, وجعله متتابعة يتلو بعضها البعض الآخر بنسق سريع وبتتابعية محكمة, وهذا كان بيّناً من خلال ما ربطه الشاعر إذ استطاع بجهده أن يحقق انسجام حجاجي عن طريق ترتيب نتائجه حين عطف (فردني ...., ففي الذي تطلب ...., فبلّهُ ...) على جملة (فديت ... , فقلت ...., ثم ثنى ....), وعن طريق الرابط استطاع شد ذهن المتلقي في ربطه للنص بصورة عامة, والجمل بصورة خاصة, وبناء على ذلك يمكن أن نقول: إن مفهوم العلاقة الحجاجية الذي يأتي بين الحجة

والنتيجة هو مفهوم يتميز بالمرونة, فقد تكون العلاقة شرطية أو استنتاجية, أو تفسيرية, حسب نصه الحجاجي, وعن طريق الرابط الحجاجي يمكن أن نحدد النتيجة من خلال التوضيح الآتي:

فردني منه بفضل الحياء _____ فديت من حملته حاجة

النتيجة _____ الحجة

فَفي الذي تَطلب _____ ما شئت فسل غيرنا

فقالَ: ها منكَ لقيت البلاء _____ ما لي حاجةٌ غيرَها الهاء هنا تعود (للخمرة)

فبله من خجل بالبكاءُ _____ ثنى ثوباً على وجهه,

النتيجة _____ الحجة

ونلاحظ أنّ الفاء جاءت لتعطي تفسيراً وتعطي جواباً في الوقت نفسه, والحجة هنا اقترنت بأداة الوصل (الفاء) لما لها من بعد حجاجي في إعطاءها للحجة طاقة قوية تدفع المتلقي للاقتناع بنتائجه.

وفي موضع آخر قال: (علي فاعور, 1987: 415)

نَبّهْتُهُ بَعدَما حَلّ الرّقادُ لَهُ عَقْداً من السّكرِ, إلاّ أنّهُ ثَمِلُ

فقلتُ: كأسَك خُذها! قال مُحتجراً: حَسبي الذي أنا فيهِ أيّها الرّجُلُ

ثمّ اسْتَدارَ بهِ سُكْرٌ, فمالَ به, فقمتُ أسعَى إليهِ, وهوَ مُنْجَدِلُ

قد دَبّتِ الْخَمرُ سِرّاً في مَفاصِلِهِ, فماتَ سكراً, ولكن حاطَهُ الأجلُ

فلَمْ أزلْ أتَفَدّاهُ, وأرْفَعُهُ عن وَهدَةِ الأرْضِ, والنّشوانُ محتملُ

ونلاحظ هنا أن الشاعر ربط بين أبيات شعره برابط الوصل (الفاء) وهو حرف عطف أفاد الترتيب والتعقيب بين أبياته, وبدوره أفاد الترابط بين أبياته وجعلها متصلة غير مفككة, إذ لولا الرابط لما جاءت أبياته مترابطة ومنسجمة, فنلاحظ التراتبية وهنا يقول: إنّ النوم جعل سكرهِ قليلاً ومع ذلك بقي ثملاً, فمنحه كأساً آخر ولكنه امتنع عنها وقال يكفي ما أنا عليه من السكر, فبسبب سكره أصابه الدوران ووقع أرضاً وسعيت لأنهضه, فشرب الخمرة وأصاب جسده بأضرار جسيمة, ولكنه لم يمت لأن أجله لم يأتِ بعد, وما زال الرجل يرفعه ويساعده إلى أن أفاق من سكره. فالتعقيب واضح بين أجزاء أبياته, والحجج جاءت بفضل الرابط الحجاجي الذي يربطها بالحرف (الفاء) متصلة, ومنسجمة, تقوي الواحدة منها الأخرى في داخل الاستراتيجية الحجاجية لتصل للغاية المطلوبة.

ثالثاً| لكن:

حرف يفيد الاستدراك بعد الجحود, كقولك: ما خرج زيد لكنْ عمرو, ولا يغنى في الواجب. (أبو القاسم عبد الرحمن اسحاق الزجاجي, 15:1986),ومعنى الاستدراك أي أن ننسب حكماً لاسمها, مخالف المحكوم عليه قبلها, ويقول البعض أنها أداة تفيد الاستدراك والتوكيد ... ويكون مكانها وسيطة بين كلامين متغايرين نفياً أو إيجاباً. (الحسن بن قاسم المرتدي, 1992: 615-616), وقد بيّن كل من ديكرو وأنسكومبر أن الرابط (لكن) يستخدم لشيئين هما الحجاج والإبطال ... فنلاحظ عند التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يتوجب توفر أمرين:

1_ إنّ المتكلم الذي يقدم (أ) و(ب) على اعتبار أنهما حجتين؛ الحجة الأولى تتقدم نحو نتيجة معينة (ن), والحجة الثانية تتقدم نحو النتيجة المضادة لها أي (لا-ن).

2_ إنّ المتكلم عندما يبين أن الحجة الثانية هي الحجة القوية, وذلك يرجع إلى أنها توجه القول والخطاب معاً. (أبو بكر العزاوي, 2006: 57-59)

والمخطط الآتي يبين ذلك:

ن لكن لا_ ن

ح1 ح2

وبهذا نلاحظ إن الرابط (لكن) عندما يكون وسط دليلين بوصفها رابطاً حجاجياً يقوم بتقديم الدليل الوارد بعده بأقوى من الدليل المسبوق, فتكون النتيجة في خدمة الدليل الثاني المتكوّن. (سامية الدريدي, 2011: 347) , وميزة الرابط الحجاجي (لكن) تكون بجعل الملفوظ يمتاز بطاقة حجاجية قوية في خطابها. (عز الدين ناجح, 2011: 162), ووظيفة الرابط الحجاجي في الخطابات الحجاجية تتمثل في المعارضات التي تحدثها بين الحجة المسبوقة لها وبين الحجة التي تلحقها.

وقد وظفها أبي نؤاس في أشعاره, إذ قال: (علي فاعور, 1987: 14)

لا يَصرفَنّكَ, عن قَصْفٍ وَإصْباءِ, مَجموعُ رَأيِ, وَلا تَشتيتُ أهْوَاءِ

وَاشرَبْ سُلافاً كَعَين الدّيك, صافيةً, من كَفّ ساقيَةٍ كالرِيم, حَوْراءِ

صَفرَاءُ ما تُركتْ, زَرْقاءُ إنْ مُزجتْ, تَسموا بحظين مِنْ حُسنٍ, وَلألاءِ

تَنزُو فَوَاقِعُها مِنها, إذا مُزجتْ, نزو الجنادب من مَرْجٍ وأفياءِ

لها ذيولُ من العقيان تتبعها في الشّرْق والغرْب في نورٍ وظَلماءِ

لَيسَتْ إلى النّخل وَالأعناب نِسبَتُها لكِنْ إلى العَسَل الماذيّ والماءِ

يبين الشاعر في أبياته صفات الخمرة التي يحبها فيها, ويقول هنا ملْ للهو والعشق, ولا يهمك اجتماع رأي بتحريمه, واشربها من يد ساقية كالظبي في بياضها وسواد عينيها, فهي صفراء أذا مزجتها مالت للزرقاء وهي جميلة اللمعان, وما تبث ن فواقع أي هنا يقصد (نفاخات) التي تتولد عند مزجها فهي تنزو وتثب كالجنادب في الأرض الوارفة الكثيرة الظلال, وهي حين تمضي تجر إثرها شعاعاً يتبدى كالشمس, وهي كالنور وما دونها تكون ظلماء, والخمرة لم تكن من ما صُفيت من التمر أو العنب, بل هي من العسل الأبيض الماذي ومن الماء. فالأشارة هنا لمدى طيبها. ونلاحظ هنا أنه ربط الجملة الأولى ليست إلى النخل والأعناب نسبتها, بالجملة الثانية (إلى العسل الماذي والماء) عن طريق أداة الربط الاستدراكي الحجاجي (لكن), والحرف (لكن) ربط بين حجتين, فكانت الحجة الثانية أقوى بطاقتها من الحجة الأولى, مضافاً إلى ذلك معارضتها للأولى, فالنتيجة المتضادة هي النتيجة التي يقصد بها الكلام بمجمله.

ومن ذلك في قوله في مدح أمير مصر الخصيب بقوله: (بهجت عبد الغفور, 2010: 286-287)

ذريني أُكَثّرْ حاسديكِ برِحْلَةٍ, إلى بلَدٍ فيه الخصيبُ أميرُ

إذا لم تَزُرْ أرْضَ الخصِيبِ ركابُنا, فأيّ فتي, بعدَ الخصيبِ, تَزُورُ

فتى يشْتري حسْنَ الثناءِ بمالِهِ, ويعْلَمُ أنّ الدّائِرَاتِ تَدُورُ

فما جازَهُ جُودٌ, ولا حَلّ دونَه, ولكنْ يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ

فلمْ تَرَ عيني سُؤْدَداً مثلَ سؤدَدٍ, يحِلّ أبو نَصْرٍ به, ويَسِيرُ

يوضح الشاعر إن عطايا الرشيد لم تكفيه, فقصد إلى مصر ليمدح أميرها الخصيب, املاً أن تكون عطاياه عليه أكثر من عطايا الرشيد, فالأبيات هنا في مدح الخصيب وذكر خصاله الحميدة, فالرابط الحجاجي الذي ربط بين الجملتين في البيت الرابع هو الرابط (لكن), وبمساندة حرف (الواو) له بتقوية الرابط الحجاجي, فالحجة الثانية أي النتيجة المتضادة التي وجهت نحوها الحجة الأقوى, فالحجة الثانية (يصير الجود حيث يصير) بعد الرابط (لكن) أقوى من الجملة التي بعدها. وما نلاحظه أن الرابط (لكن) يقوم بخاصية في الخطاب الحجاجي تؤلف بين علاقتين أي بين علاقة القوة الحجاجية وعلاقة التناقض الحجاجي وتجعلهما مجتمعين معاً. (عز الدين المجدوب, 2010: 301), فالرابط (لكن) جاء في البيت بعد النفي أي أن (صفة الجود لم تتجاوز الممدوح ولم تحل دونه) الحجة الأولى, وأما الحجة الثانية هي أن (صفة الجود والكرم تتواجد في المكان الذي يتواجد فيه الممدوح) فالنتيجة هنا هي ملازمة خصال الجود للممدوح أينما وجد. (شيخة راضي, 2017 :875)

رابعاً| حتى:

يؤدي هذا الرابط في اللغة العربية وظائف كثيرة منها العطف, حيث تعطف بين المفرد وبين الجملتين في الكلام, وبين الاسمين في اللفظ والمعنى, أما من حيث اللفظ في حالات الرفع والنصب والجر, وأما في المعنى في حالات النفي والإثبات. (أحمد عبد النور المالقي, د.ت :181), والرابط له دوره في ترتيب منزلة العناصر, ولما لمعانيها واستخداماتها من سلميّة ... فعند استعمال (حتى العاطفة) وجب على المتكلم مراعاة شروط المعطوف, وهما شرطان؛ الأول: أن يقوم بعض ما قبلها, أو كبعضه. والثاني: أن يقوم غاية لما قبلها, في حالة الزيادة. والزيادة تتضمن القوة والتعظيم. والنقص يتضمن الضعف والتحقير. (عبد الهادي ظافر, 2004: 517-518) ,والحجج اللغوية التي تأتي في الخطاب غير متماثلة ولا متكافئة, وهي تخالف تبعاً لذلك البراهين المنطقية والرياضية. فالحجة اللغوية لها قوة معينة, وتحتل مرتبة ما من المراتب الحجاجية, وقد تكون الحجة قوية وهناك حجة أقوى منها, وتوجد حجة ضعيفة وحجة أضعف منها. والخاصية التي تتميز بالحجة التي تأتي بعد الرابط (حتى) يجب أن تكون حجة قوية. (أبو بكر العزاوي, 2006: 88)

وقد ورد الرابط بكثرة في أشعاره, نذكر منها قوله: (بهجت عبد الغفور, 2010: 51)

أثْنِ على الْخَمْرِ بآلائِها, وَسَمّها أحسَنَ أسْمائِها

لا تجْعَلِ الماءَ لَها قاهراً, وَلا تُسَلّطْها على مَائِهَا

كَرْخِيّةٌ, قد عُتّقَتْ حقبةً, حتى مضَى أكثرُ أجْزائِها

نلاحظ في النص الشعري الذي جاء به أبي نؤاس ترابطاً حجاجياً, إذ قام بربط أربع من حججه بالرابط. كما في التوضيح الآتي:

ح1| لا تجعل الماء لها قاهراً

ح2| لا تسلطها على مائها

ح3| كرخية, قد عتقت حقبة

ح 4| مضى أكر أجزائها

فالشاعر استطاع أن يربط حججه الأربعة برابط واحد (حتى) ليبين لنا النتيجة التي بواسطتها يقنع المتلقي بإثبات حجته التي نستشفها من معنى آخر في بيته (كرخية, وقد عتقت حقبة ...) وهو هنا يبرز الحجج لكي يقوي بها النتيجة, فيقول لا تمزج الخمرة بالماء فيقهرها, ولا تدعها حادة دون الماء, بل وازن بينهما, وهي تعود إلى (الكرخ) في بغداد, ويقول

أنها عتقت وصفت وعادت جوهراً واحداً لا تجزىء فيه, وهي النتيجة المبتغاة من حجته هو الثناء على الخمرة فكأنها تقوم بالثناء مقام الذات العليا كما هو معروف في الدين, فالثناء يعود لله وحده.

وفي مقطع آخر قال: (بهجت عبد الغفور, 2010: 373-374)

لَوْ كُنتَ مِنْ فاكِهَةٍ تُشتَهي لِطيبِها كُنتَ الغُبَيراءَ
لا تعبرُ الْحَلْقَ إلى داخلي, حتّى تحَسّى دونَها الماءَ

هنا نلاحظ سخرية الشاعر من الأعراب ومواقعهم وأبلهم ونعاجهم, فيقول لو اشتهيت بفاكهة من ثمارهم كانت غبيراء وهي شجر تأخذ ثمارها للزينة فقط, فثمارها فاقدة الطعم كشجرة الغبيراء, ولو أكلها جعله يغص ويشرب الماء عليها, فالشاعر ربط البيتان بالرابط (حتى). كما في التوضيح الآتي:

ح1| كنت الغبيراء
ح2| لا تعبر الحلق إلى داخلي
ح3| تحسى دونها الماء

فالحجة التي جاءت بعد الرابط هي الحجة الأقوى, وهو ما قصده النحاة واللغويين بأن يكون ما بعد الرابط غاية لما قبل الرابط. وكل هذه الحجج جاءت لتخدم نتيجة واحدة, وهي سخريته من الأعراب, وعن طريق حججه وجه الخطاب نحو الهدف أي نتيجته المرجوة.

خامساً| لأنَّ:

يعدُّ الرابط (لأنَّ) من ألفاظ التعليل, واللام لام التعليل, ويستخدمها المرسل في خطابه الحجاجي بكثرة, ووظيفتها تقوم على تبرير الفعل, أو تبرير بعدمه ... فالربط التعليلي في خطابه الحجاجي قام بدوره بجعل الفعل يقوم لسبب معقول. (عبد الهادي ظافر, 2004: 478) , و(إنَّ) أداة تفيد التوكيد في الجملة. (أبو القاسم عبد الرحمن اسحاق الزجاجي, 20:1986) , ويقول (صولة) عن عناصر التوكيد التي تدخل على الجملة وتجعلها تمثل " شارات حجاجية تستدعي الضمني وتفتح عليه وتومىء إلى النتيجة وتدفع إلى استنتاجها" (عبد الله صولة, 2001: 26) , وعند دخولها للإسناد الخبري الابتدائي, تفيد الجملة تبعاً لذلك بعداً حجاجياً بلاغياً ودلالياً. (عبد الله صولة, 2001: 255)

وقد وردت في شعر أبي نؤاس, من قوله: (بهجت عبد الغفور, 2010: 622)

نابَذْتُ مَن باصْطباري عنكِ يأمرُني, لأنّ مثْلَكَ رُوحي عنْهُ قدْ ضَاقَا
ما يَرْجِعُ الطّرْفُ عنها حين أُبصرُها حتى يعودَ إليْها الطّرْفُ مُشْتَاقَا

فالشاعر هنا لا يرضى لنفسه التصبر والعذل, فبدونها يضيق روحه لتعلقه بها, فهو لشدّة ولعه بها لا يميل بصره عنها لكي يشتاق لها قبل أن يعود للرنو إليها, فقط ربط الشاعر بين النتيجة التي أراد تثبيتها, وقام بتقديمها على حجته والشكل التخطيطي يوضح ذلك:

النتيجة _____ لأنّ مثلك روحي عنه قد ضاقا | ح 1
الحجة _____ نابذت من باصطباري عنك يأمرني | ح2.

وقد ربط بين النتيجة والحجة بواسطة الرابط التعليلي الحجاجي (اللام), ولعلّ السبب يعود لتعليل نتيجته المطروحة, ونلاحظ إن معيار الترابط بين الحجج واضح وذلك من خلال الرابط التعليلي المذكور.

وأورده كذلك في موضع آخر, إذ قال: (بهجت عبد الغفور, 2010: 621)

يا مَنْ يُوَجّهُ ألْفَاظي لأقْبحِهَا, لأنّهُ ساحِرُ العَيْنَيْنِ مَعْشُوقُ
لَوْ كانَ مَنْ قالَ ناراً أحرَقَتْ فمَهُ لَما تَفَوّهَ باسْمِ النّارِ مَخْلُوقُ

والشاعر هنا ربط بين حجته والنتيجة بالرابط التعليلي (لأنّ), وهو هنا يدعه ينطق بالألفاظ الرذيلة من طلعته. ويردف بأن الفم لا يدنس وإلا لأحرقت لفظه نار من تفوّه بها. والمخطط يبين ذلك:

النتيجة _____ لأنّه ساحر العينين معشوق ح1
الحجة _____ يا من يوجه ألفاظي لأقبحها

وهنا بنتيجته عن طريق الرابط التعليلي المذكور (اللام) التي جاءت ما بعدها علة لما قبلها, وهنا استعمل االشاعر الاستراتيجية التعليلة وذلك لإبراز التفوق بعمليته الحجاجية. بما يمتلكه نصه من تبرير وذكر سببية تقود المتلقي الاقتناع بها.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من النتائج, وهي:

1- لقد أسهمت الروابط الحجاجية في قصائد أبي نواس دورها الفعال بربط أجزاء القصيدة بعضها ببعض وجعلها متسقة ومتكاملة, بعيدة عن التفكك.
2- استعان الشاعر بالرابط (الواو) لجعل قصيدته وكأنها بناء متكامل يخلو من التنافر والتفكك بين أجزائه, وتبدو وكأنها نسيج واحد يربط بعضه ببعض بوساطة أداة الوصل (الواو).
3- وظف أبو نواس زيادة الرابط (الفاء) الذي يعد أداة وصل كسابقتها, لها بعد حجاجي في إعطاءها حجّته طاقة قوية ومن خلالها يدفع الآخرين ويقنعهم بنتائجه المقصودة.
4- واستخدم الرابط (لكن), (حتى), (لأنَّ) إذ أنّ كلّ تلك الروابط قامت بدورها المطلوب وهو تقوية الحجة في أشعاره وجعلها في موضع القبول والإذعان من قبل المتلقين.

المصادر والمراجع:

1- استراتيجات الخطاب مقاربة لغوية تداولية, عبد الهادي بن ظافر الشهري, دار الكتاب الجديد, ط1, 2004.

2- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية, مثنى كاظم صادق, كلمة للنشر والتوزيع, بيروت, ط1, 1436هـ-2015م.

3- بلاغة الإقناع في المناظرة, عبد اللطيف عادل, منشورات الضفاف, بيروت- لبنان, ط1, 1434هـ- 2013م.

4- التّحاجُج طبيعته ومجالاته ووظائفه, حمو النقاري, مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء, ط1, 1427هـ- 2006م.

5- التداولية اليوم علم جديد في التواصل, آن روبول, جاك موشلار, ترجمة: سيف الدين دغفوس, ومحمد الشيباني, دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت- لبنان, ط1, 2003.

6- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي, مسعود صحراوي, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت- لبنان, ط1, 2005.

7- تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة, آمنة بلّعلي, الإمل للطباعة والنشر والتوزيع, 2009.

8- الجنى الدّاني في حروف المعاني, الحسن بن قاسم المرتدي, تحقيق: فخر الدين قباوه, ومحمد نديم فاضل, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط1, 1413هـ- 1992م.

9- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه, سامية الدريدي, عالم الكتب الحديث, إربد_ الأردن, 2011.

10- الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, عبد الله صولة, منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات, تونس, ط1, 2001.

11- حروف المعاني, أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي, حققه, علي توفيق الحمد, مؤسسة الرسالة, دار الأمل, 1406هـ_ 1986م

12- ديوان أبي نُواس بروايةِ الصُّولي, تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي, دار الكتب الوطنية, هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث, ط1, 1431هـ- 2010م.

13- ديوان أبي نواس, شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاعور, دار الكتب العلمية, بيروت_ لبنان, ط1, 1407هـ_ 1987م.

14- رصف المعاني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبدالنور المالقي, تحقيق: أحمد محمد الخراط, د.ت.

15- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, محمد محيي الدين عبد الحميد, دار احياء التراث العربي بيروت- لبنان, الجزء الأول, 1980.

16- عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج, عبد السلام عشير, أفريقيا الشرق, المغرب, 2006.

17- العوامل الحجاجية في اللغة العربية, عز الدين الناجح, مكتبة علاء الدّين, صفاقس- تونس, ط1, 2011.

18- القاموس الموسوعي للتداولية, جاك موشلر, آن ريبول, ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب, منشورات دار سيناترا, تونس, 2010.

19- الكتاب, سيبويه, ط1, الجزء الأول, 1316هـ.

20- اللغة والحجاج, أبو بكر العزاوي, ط1, 1426-2006.

21- اللغة العربية معناها ومبناها, تمام حسان, دار الثقافة, 1994.

22- معاني النحو, فاضل صالح السامرائي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ج 3, ط1, 1420هـ-2000م.

23- نحو اللغة العربية, كتاب في قواعد النحو والصرف مفصلة موثقة مؤيدة بالشواهد والأمثلة, محمد أسعد النادري, المكتبة العصرية, صيدا- بيروت, ط2, 1418هـ- 1997.

24- نسيج النّص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً, الأزهر الزنّاد, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1993.

25- النص والخطاب والإجراء, روبرت دي بوجراند, ترجمة: تمام حسان, عالم الكتب- القاهرة, ط1, 1418هـ- 1998م.

26- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي, فان دايك, ترجمة: عبد القادر قنيني, أفريقيا الشرق- بيروت- لبنان, 2000.

27- نظرية الحجاج في اللغة, ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, حمادي صمود.

28- نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية, مصطفى حميدة, مكتبة لبنان للنشر, بيروت- لبنان, ط1, 1997.

29- الحجاج في المعارضات الشعرية, شيخه راضي سميليل العتيبي, العدد الثالث والثلاثين من المجلد الأول لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات, الإسكندرية, 2017.

30- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله, رضوان الرقبي, "بحث" في مجلة عالم الفكر, العدد| 2, لسنة 2011م.

31- نحو مقاربة حجاجية للاستعارة (بحث) في مجلة المناظرة, أبو بكر العزاوي, العدد| 4, 1991.